المحاضرة رقم -4- و -5-

خصائص اللسان البشري

1) **الإبداعية في اللغة**

وتقضي بأن اللغة – اللسان-، تنظيم كلامي منفتح غير منغلق؛ أي الإنسان وهو يتكلّم يُبدع في كلامه ويُقدّم الجديد، فلا يكتفي بإعادة الجمل بل يخلق جملا أخرى جديدة ربّما لم يسمعها من قبل، وبالتالي فالعملية ليست عملية إعادة لجمل سابقة بل هي عملية إبداع، فلا يكرّر ما قاله، ولو في نفس الموضوع، بل يغيّر فيه ويجدد على الدوام.

2) **التقطيع المزدوج** (ازدواجية التقطيع اللغوي)La double articulation[1]:

وقد فصّل فيها اللساني "**أندريه مارتيني**"، وهو أحد أقطاب المدرسة الوظيفية، ومفادها أن الإنسان حين التلفّظ - ما يصدر عن جهازه الصوتي من أصوات مقطّعة - يكون كلامه مبنيّا على مستويين من حيث تركيب وبنية تلك الألفاظ؛ مستوى تكون فيه الألفاظ – المقاطع الصوتية – ذات دلالة أي لها معنى مستقل تؤديه في تركيب الكلام[2]، ونسمي هذه المقاطع الصوتية ذات الدلالة بالمونامات ومفردها مونام "**moneme**"، وهو كما ذكرنا أقل وحدة صوتية، أو أقل ما يمكن النطق به وله دلالة[3]، ومثال ذلك في اللسان العربي جملة : **تحرّرت فلسطين**. ففعل تحرّر مونام، والتاء مونام لأنها أدّت دلالة التأنيث، وفلسطين مونام. بهذا نستطيع تقسيم الكلام إلى وحدات دالة- مونامات – حيث يختلف عددها من جملة لأخرى، وهذا المستوى الأول من ازدواجية التقطيع اللغوي يفيدنا في التعرّف على الوحدات الدالة مفردة داخل تركيب الكلام، فندرسها ووضعها فيه، وكل ما يعتريه من تحولات وهذا ما يقابل علمي الصرف والنحو. أما **المستوى الثاني** من التقطيع اللغوي، فهو تقطيع المونامات في حد ذاتها إلى وحدات صوتية صغير تمييزية* غير دالة وغير قابلة للتقطيع، ونسمي كل منها بالفونام "**phonem**"، وهو كما أشرنا أصغر وحدة صوتية غير دالة تمييزية ولا تقبل التقطيع إلى وحدات أخرى.

3) **التحوّل اللغوي** :

وهي خاصة لسانية تمنح الإنسان القدرة على أن يعبّر عن ماضيه وحاضره ومستقبله، وتوفر له إمكانية السفر في المكان، وذلك بما توفر له من قدرة على تجريد صوتي لما أراد التعبير عنه، فعبر التحوّل اللغوي، يتجاوز الإنسان حدود الزمن وحواجز المكان، ويتحوّل بلغته لأي زمن أو مكان شاء، ويطلق على هذه الخاصة اسم الاستبدالية "**displacement**"[4].

4) **الانتقال اللغوي** :

أو ما يدعى؛ إمكانية التعلّم **learnability**[5]، وهي ميزة مهمة يتمتع بها اللسان البشري، حيث تمنحه القدرة على تعلّم اللغة وتعليمها، فعبرها يستطيع الإنسان – وبيسّر- تعلّم اللغة، كما يمكنه تمريرها ونقلها لغيره.
كما نشير في هذا الموضع إلى خاصة أخرى يتمتع بها اللسان البشري ويمكن إدراجها تحت الانتقال اللغوي، وهي **الانتقال الثقافي cultural transmission**[6]، حيث تمكّن هذه الخاصة اللغة من الانتقال ثقافيا عبر الأجيال، عبر التعليم والتعلم.

5) **التمايز Discreteness**: وهي خاصة تمنح الوحدات اللغوية – فونيمات ومونيمات – تمايزا عن بعضها داخل الحدث الكلامي، وذلك من خلال علاقاتها الخلافية مع بعضها البعض، فنستطيع عبر ذلك التقابل القائم بينها أن نميّز أحدها عن الآخر[7]. و قد عبّر **سوسير** عن هذه الخاصة، **بالتعارضية** أو **الخلافية**، حيث لا يمكن تحديد قيمة – وظيفة – أي عنصر لغوي – كالفونيمات -إلا من خلال علاقته التعارضية مع العناصر المحيطة به[8]، ومثال ذلك في كلمتي: ساق، راق، حيث لا يمكن التعرف على حرف السين في الكلمة الأولى، إلا من خلال تعارضه مع حرف الراء في الكلمة الثانية، وبنفس الطريقة يتم التعرّف على الوحدات اللغوية الأكبر داخل التركيب، ففي الجملة التالية: **فلسطين عربية**، يتم التعرف على الكلمة، **عربية**، من خلال علاقتها الخلافية مع ما يسبقها.

6) **الانعكاسية** "Reflexivity"[9]: تمنح هذه الخاصة اللغة، إمكانية التعبير عن نفسها؛ أي نستطيع عبرها أن نقدّم شرحا أو وصفا لأي مسألة في اللغة، مستخدمين في ذلك اللغة ذاتها، فنقول على سبيل المثال: المبتدأ؛ هو الاسم المرفوع الذي تبتدئ به الجملة. أو نقول: سَمِعَ، فعل، يتكون من ثلاثة صوامت، وثلاث حركات قصيرة، وهكذا يمكننا التعبير عن مختلف ما يدور في فلك اللغة عبر اللغة نفسها، وفي المقابل لا نجد أي نظام علامي آخر يمكنه التعبير عن نفسه كاللغة[10].

الدورة التخاطبية

وهي التي تظهر عبرها أهم وظائف اللغة وتتأكد بها صفة التبليغ، فعن طريقها تتم عملية الكلام والتواصل اللغوي بين الأفراد، حيث تنتقل الأصوات من المتكلّم – المرسل – إلى السامع – المرسل إليه – بكيفيات محددة – بأصوات مقطّعة – تصدر عن الجهاز النطقي للمرسل، وتتجه باتجاه المرسل إليه، ثمّ تحدث عملية الرد على الخطاب بنفس الكيفية التي تم بها أول مرة، وكأن العملية دائرية، لهذا أطلق عليها دائرة الخطاب، فالدائرة تعود للظهور من جديد متى تكلم المرسل إليه وأراد الرد على المتكلم.

وفيما يلي نوجز الأقسام أو الدوائر الصغيرة داخل دائرة الخطاب، وهي ذاتها عناصر الاتصال:

1) **المرسل**: وهو المصدر المنتج للصوت – المتكلّم – ومن أجل تمام دورة الخطاب على أكمل وجه، يشترط فيه أن يكون سليما، وفي حالة تسمح له بالكلام ولا يوجد أي عائق يعوق حركة صوته.

2) **المرسل إليه** وهو السامع أو المستقبل - الشخص الموجّه إليه الكلام – ويشترط فيه السلامة من العوائق كذلك، حتى يستقبل الصوت ويتسنى له الرد، لتتحقق دائرة الخطاب، التي تقضي بعدم توقفها عند أحد الطرفين، بل تستمر في شكلها الدائري ذهابا وإيابا ما دامت هناك حاجة تواصلية و تبليغية بين الطرفين.

3) **جهاز الإرسال** : وهو جهاز النطق عند الإنسان، وهو خاص بالمرسل.

4) **جهاز الاستقبال** - الالتقاط -: وهو جهاز السمع عند الإنسان، وخاص بالمرسل إليه .

5) **قناة الاتصال** "communicative Channel": وهي الطريق أو الوسيلة التي ينتقل عبرها الصوت من المرسل إلى المرسل إليه، فإن كان الخطاب مباشرا، فالهواء هو القناة، ومتى حدث عائق ما، تستخدم قنوات أخرى لتحقيق دائرة الخطاب، كالميكروفون مثلا أو الهاتف.

6)**الوضع** : وندعوه المرجع "referent"، وهو اللغة التي يستخدمها المرسل في خطابه، ويشترط فيها أن تكون مفهومة عند طرفي الخطاب حتى تتم عملية التخاطب على أحسن وجه؛ أي تكون اللغة متواضع عليها بين طرفي الدائرة، ليتمكن كل طرف من فهم الآخر، ليرد عليه وتستمر العملية.

7) **الشفرة "code"**: وهي الترميز الذي يجعل من اللغة – الوضع - بين طرفي الدائرة متميزة عن غيرها، فلا يفهمها إلا من كان داخل الدائرة، فالشفرة هي سر تميز الدائرة اللغوية عن غيرها، في نفس اللغة أو في لغات أخرى.

8) **الرسالة "message"**: وهي التي تحمل أفكار المرسل إلى ذهن المرسل إليه، وتعد أهم ركائز الدائرة الخطابية، لأنها تحمل كل مكوناتها، حيث يمكن عبرها رصد: **الوضع، المرسل، السامع، الشيفرة**...

9) **الاستضاع** : وهو خاص بالمرسل – من يوجّه الخطاب - في كل حالة حيث تتم من خلاله تحويل الأفكار – المعاني – المجرّدة في الذهن إلى ألفاظ قابلة للإرسال، كرسائل صوتية عبر الجهاز الصوتي.

10) **التو ضيع** : وهو خاص بالمرسل إليه في كل حالة، فيتم من خلاله تحويل الألفاظ المستقبلة إلى معاني يمكن فهمها؛ أي موجودة في القاموس اللغوي لدى المرسل إليه، وقادر على استيعابها، وفهم معانيها.

معوّقات التخاطب – التشويش – :

وهي جميع المعوّقات التي تحول الإنسان دون تبليغ خطابه؛ اي تعوق إكمال دائرة الخطاب، ومنها الطبيعي ومنها الاصطناعي، ونذكر اهمها:

1- معوقات في المرسل: كأن يكون في حالة نفسية تمنعه من الخطاب، كالنوم مثلا.

2- معوقات في جهاز النطق: حيث يكون الإنسان مصابا في جهازه النطقي بعاهة أو مرض ما.

3- معوقات في المرسل إليه : في هذه الحالة يكون المرسل إليه غير قادر على استقبال الخطاب، كأن تكون حالته النفسية لا تسمح له باستقبال الخطاب – في حالة الغضب الشديد مثلا -، فيحول ذلك دون إكمال الدورة التخاطبية.

4- معوقات في جهاز الاستقبال عند المرسل إليه : ويحدث ذلك حين تصاب أذن المستمع بخلل يمنعها من التقاط الصوت.

5- المعوّقات في القناة: يحول التشويش في القناة، الربط بين المرسل والمرسل إليه، سواء كانت القناة طبيعية أو اصطناعية، فتعمل تلك المعوقات على قطعها أو تضعف من فعاليتها، مما يؤثر في دائرة الخطاب.

6- المعوّقات في الوضع – اللغة- : ويحدث ذلك حين لا يتّفق طرفا الخطاب على لغة واحدة للتفاهم، فيتعذّر عليهما فهم بعضهما مما لا يحقق التواصل المرجو من وراء دائرة الخطاب، إلا إذا تدخّل عنصر ثانوي وهو المترجم، فتتم عملية الخطاب ولكن بكفاءة أقل، لأن أهم أجزائها وهو التخاطب المباشر حدث اصطناعي – أي تمّ بوسائط - ، كما نجد هذا المعوّق على مستوى آخر مما يؤثر في دائرة الخطاب، وذلك حين تسقط بعض الكلمات أو الجمل من خطاب المرسل، فيؤدي ذلك لعدم فهم المرسل إليه لغة المرسل – رغم أنهما يتكلمان بنفس اللسان - فتُبتر دائرة الخطاب.

7) المعوّق في الإستضاع : ونلمس هذا العائق حين لا يستطيع المرسل أن يعبّر عن أفكاره وما يدور بخلده بالألفاظ، رغم أنه سليم ولا يوجد أي معوّق ظاهري وملموس، يعوق خطابه، فيُعزى عجزه عن تحويل أفكاره لألفاظ إلى حالة نفسية أو عجز في اللغة لاحتواء الفكر، وتصبح اللغة في هذه الحالة عائق للفكر، فتمنع تمثيله و لا تحويه ؟.

8) المعوّق في التوضيع : ونلمسه حين لا يتمكّن المرسل إليه من فهم الخطاب الموجّه إليه، رغم أنه لا يوجد عائق يحول دون فهمه، ومثال ذلك أن يكون الخطاب واضح الصوت بلغة المرسل إليه، ولا يوجد أي عطب في جهاز استقباله، ولكنه لا يفهمه، في هذه الحالة نستنتج أن العائق الوحيد يكمن في التوضيع، حيث لا يتمكن المستقبل من تحويل تلك الألفاظ إلى معاني أي لا يفهمها، وتكون هذه الحالة في الغالب مرضية.

ومثل أي مشكلة استطاع الإنسان أن يردّ معوقات الدورة التخاطبية، أو يخفّف من حدّتها فطوّر عبر مسيرته التاريخية وسائل عديدة لردّ التشويش نوجزها كالآتي :

1) **الوسائل المباشرة** : وتنقسم إلى قسمين :

- **الوسائل اللغوية** : وهو ما ينتج عن اللغة في حدّ ذاتها، كالتوكيد والإعادة وإضافة بعض الكلمات، وغير ذلك من وسائل عمادها اللغة في حد ذاتها، نستعملها لما نشعر بأن دائرة الخطاب تعاني خللا ما، كأن تكون القدرات العقلية للشخص المرسل إليه ضعيفة، فلا يستطيع استيعاب الخطاب، إلا بعد تكراره عدّة مرات، أو أن يكون الخطاب نفسه مبهما، فيحتاج المرسل إلى التأكيدات وإضافة ما ليس له علاقة مباشرة بالخطاب حتى يستمر الخطاب، ولا تنقطع دورته، ومثال ذلك ما نقوله حين نتكلّم في الهاتف حتى يبقى الاتصال مستمر فنقول " ابق ....معي " .
- **الوسائل الحالية- المقامية -** : وتنسب للمقام الذي يوجد فيه الإنسان، وهي لا تعتمد على الصوت لرد التشويش، كالوسائل اللغوية، بل على الحركات ومختلف الإشارات الدالة، بأي عضو من أعضاء الجسم، وهذا لسد ثغرات الكلام، أو إكمال نقص في الدورة التخاطبية، كأن تكون المسافة بين المرسل والمرسل إليه كبيرة، فيخشى المرسل تعذّر وصول خطابه بشكل واضح للمرسل إليه، فيستخدم الوسائل الحالية لسدّ هذا الفراغ فيشير للمرسل إليه بإشارات معينة تساعده على فهم الخطاب، ويتمكن من الرد لتتحقق الدورة التخاطبية.

2) **الوسائل غير المباشرة** : وهي جميع الوسائل التي يستخدمها الإنسان لإيصال خطابه، كأن يستخدم مكبّر الصوت لما يتعذّر عليه خطاب مجموعة كبيرة من الأشخاص موجودين في ساحة، أو يكتب رسالة

ويبعث بها للمرسل إليه إن كان بعيدا عنه وتعذّر اتصالهما المباشر، وغير ذلك مما يستعمله الإنسان بشكل غير مباشر للتغلب على معوّقات الخطاب، وإقامة دورته على أحسن وجه.